

تفسير البحر المحيط

@ 169 @ القيامة . وفي قوله { وَيَوْمَ يُدْعَتُهُ حَيًّا } تنبيه على كونه من الشهداء لقوله { بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ } وهذا السلام يحتمل أن يكون من الملائكة المنتهى . والأظهر أنه من الملائكة لأنه في سياق { وَاتَّيْنَاهُ الْكُكْمَ } . . .

{ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ اتَّيَدَّتْ مِنْ أهلكها مكاناً شرفاً قِيًّا * فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَانِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بِغَيْبًا * قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا * فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا * فَوَدَّعَ إِذْ أَحْسَسَتْهَا أَلًّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا * وَهَزَّتْ يَدَاكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَانِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا } . . .

مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر قصة زكريا وطلبه الولد وإجابة الملائكة له من شيخ فان وعجوز له عاقر وكان ذلك مما يتعجب منه ، أردفه بما هو أعظم في الغرابة والعجب وهو وجود ولد من غير ذكر ، فدل ذلك على عظم قدرة الملائكة وحكمته ، وأيضاً فقص عليهم ما سأله من قصة أهل الكهف وأتبع ذلك بقصة الخضر وموسى ، ثم قص عليهم ما سأله أيضاً وهو قصة ذي القرنين ، فذكر في هذه السورة قصصاً لم يسألوه عنها وفيها غرابة ، ثم أتبع ذلك بقصة إبراهيم وموسى وهارون موجزة ، ثم بقصة إسماعيل وإدريس ليستقر في أذهانهم أنه أطلع نبيه على ما سأله وعلى ما لم يسألوه ، وأن الرسول عليه الصلاة والسلام وحده في ذلك واحد يدل على صدقه وصحة رسالته من أمي لم يقرأ الكتب ولا رحل ولا خالط من له ولا عنى بجمع سير . . .

و { الْكِتَابِ } القرآن . و { مَرْيَمَ } هي ابنة عمران أم عيسى ، و { إِذْ } قيل

طرف زمان منصوب باذكر ، ولا يمكن ذلك مع بقاءه على الطرفية لأن الاستقبال لا يقع في الماضي . وقال الزمخشري : { إِذٌ } بدل من { مَرَّ يَمَّ } بدل الاشتمال لأن الأحيان مشتملة على ما فيها وقته ، إذ المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا لوقوع هذه القصة العجيبة فيها انتهى . ونصب { إِذٌ } باذكر على جهة البدلية يقتضي التصرف في { إِذٌ } وهي من الظروف التي لم يتصرف فيها إلاّ بإضافة طرف زمان إليها . فالأولى أن يجعل ثم معطوف محذوف دل المعنى عليه وهو يكون العامل في { إِذٌ } وتبقى على طرفيتها وعدم تصرفها ، وهو أن تقدر مريم وما جرى لها { إِذٌ انتَبَذَتْ } واستبعد أبو البقاء قول الزمخشري قال : لأن الزمان إذا لم يكن حالاً عن الجثة ولا خيراً عنها ولا وصفاً لها لم يكن بدلاً منها انتهى . واستبعاده ليس بشيء لعدم الملازمة . قال : وقيل التقدير خبر مريم فإذا منصوبة لخبر . وقيل : حال من هذا المضاف المحذوف . وقيل : { إِذٌ } بمعنى أن المصدرية كقولك : أكرمك إذ لم تكرمني أي إن لم تكرمني . قال أبو البقاء : فعلى هذا يصح بدل الاشتمال أي { وَادَّكُرُّ } { مَرَّ يَمَّ } انتبازها انتهى . .

و { انتَبَذَتْ } افتعل من نبذ ، ومعناه ارتمت وتنحت وانفردت . قال السدّي { انتَبَذَتْ } لتطهر من حيضها وقال غيره : لتعبد الله وكانت وقفاً على سدانة المتعبد وخدمته والعبادة فتنحت من الناس كذلك ، وانتصب { مَكَاناً } على الطرف أي في مكان ، ووصف بشرقي لأنه كان مما يلي بيت المقدس أو من دارها ، وسبب كونه في الشرق أنهم كانوا يعظمون جهة الشرق من حيث تطلع الشمس . وعن ابن عباس : اتخذت النصارى الشرق قبلة لميلاد عيسى عليه السلام . وقيل : قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجة بحائط أي شيء يسترها ، وكان موضعها المسجد فبيناها في مغتسلها أتاها الملك في صورة آدمي شاب أمرد وضيع الوجه جعد الشعر سوي الخلق لم ينتقص من الصورة الآدمية شيئاً أو حسن الصورة مستوي الخلق . وقال قتادة { شَرَّ قِيَاءً } شاسعاً بعيداً انتهى . .

والحجاب الذي اتخذته لتستتر به عن الناس لعبادة ربها . قال السدّي : كان من جدران . وقيل : من ثياب . وعن ابن عباس : جعلت الجبل بينها وبين